جامع قمرية والمدرسة العمرية

Mosquée Oumryeh et école Omaryeh.

بحث كتاب مساجد بغداد وآثارها (المطبوع) عن هذا الجامع القديم وعن المدرسة العمرية الواقعين في الجانب الغربي اي جانب الكرخ مع ذكر تأريخهما فمن لي ان ازيد على ذلك ما وقفت عليه من امرهما . وقمرية علم لاسم الانثى من القمري والناس يسمون الجامع غلطا جامع القمرية (بفتح القاف والميم) كأنه انشىء في موضع كان فيه قمرية (بفتح الاولين) او كأن قمرية (كذلك بفتح الاولين) كانت فيه . والقمرية من الالفاظ العامية الحديثة في العراق ويراد بها الظلة او العريش اي ما يقوم من الميدان التي يلتف عليها اغصان الكرم او ماضاهاها من الاشجار . وكتاب المساجد صدر البحث بقوله : « جامع القمرية » وزاد على ذلك ان نبه في الحاشية على ضبط الكلمة بانه (بفتح القاف والميم) مع انه نقل عن تاج العروس انه جامع قمرية (بالضم ثم بالسكون) . ومن ضبط هذا الاسم ايضا على هذه الصورة الاخيرة الشيخ عبدالله السويدي (١) في رحلته كما سيجيء .

قال كتاب مساجد بغداد (ص ١١٤) ما يلي :

« وقال بعض المؤرخين : ان هذا المسجد من ابنية الناصر لدين الله الخليفة العباسي . والوضع والبناء يشهدان له بذلك (٢) . وقمرية هذه لعلها من اهل بيته او احدى حظاياه من الجواري والله اعلم . » اه

فيستشف من هذا الكلام ارتياب إلّا ان ما يأتي يزيل كل شك عن زمن احداث المسجد في سابق العهد . وما اسند الى بعض المؤرخين صحيح لا ريب فيه فانه مؤيد بكلام المخطوط الذي عرفته بالحوادث الجامعة لابن الفوطي فانه لم يدخل ال التعريف على قمرية وهو ممن عاشوا في القرن الذي بني فيه المسجد. فقد جاء فيه قوله في اخبار سنة ٦٧٦ (١٢٧٧) :

(١) وفاته في سنة ١١٧٤ (١٧٦٠) (هذه المجلة ٢ [١٣ – ١٩١٢] : ٢٢٣)

(٢) سنرى كلامه انه يرى على المسجد عمارات كثيرة وسنرى ايضا ما اظنه ان الجامع كان قد خرب فعمر قبابه دلي حسين باشا فالظاهر ان الوضع والبناء لم يبقيا على حالهما .

« وفيها توفي الشيخ مجدالدين عبدالصمد المقرئ امام مسجد قمرية ، وكان زاهدا ورعا يقرئ الايتام بمسجد قمرية ويصلي اماما من حيث فتح(١)... وكان مولده سنة ٥٩٣ (١١٩٦) » اه .

واذ كانت خلافة الناصر قد ابتدأت في سنة ٥٧٥ (١١٧٩) وامتدت الى سنة ٦٢٢ (١٢٢٥) وكانت ولادة مجد الدين في سنة ٥٩٣ وكان يصلي في هذا الجامع اماما من حيث انه فتح على ما رأينا فلا بد ان بناء الجامع كان في ايام الناصر ولابد من ان اتمامه لم يكن قبل سنة ٦١٣ (١٢١٦) ليتسنى ان يكون لمجد الدين عشرون عاما من العمر عند فتحه حتى يتولى الامامة اذ من البعيد على ما اظن ـ ان تولى الامامة رجلا قبل ان يبلغ هذه السن على اقل تقدير .

وكان الشيخ مجد الدين عبدالصمد ابنا لابي الجيش فقد جاء في الحوادث الجامعة في اخبار سنة ٦٥٢ (١٢٥٤) ان « الخليفة امر بوقفية دار سوسيان وما يجري معها من الحبر والبساتين وجعلت رباطا للصوفية ورتب الشيخ عبد الصمد بن ابي الجيش امام مسجد قمرية شيخا للصوفية بها، وجعل ولده موضعه في مسجد قمرية » اه.

الطوارئ على الجامع

وتذكر الحوادث الجامعة غرق بغداد في سنة ٦٥٣ (١٢٥٥) ومما قالته : « وتهدمت الجوامع والمساجد كجامع المنصور ... وبعض مسجد قمرية ... وتلا هذا الغرق غرق آخر في سنة ٦٥٤ (١٢٥٦) وقد اصاب مسناة الجامع ومر عرضا به هذا الكتاب نفسه قال : « وسقط نصف مسناة مسجد قمرية فعمل له سكر من خشب وطرفاء فما زال على ذلك الى ان عمره الصاحب علاء الملك الجويني سنة سبع وستين وستمائة » اه . وقال في حوادث سنة ٦٦٨ (١٢٦٩) : « ثم امر (علاء الدين صاحب الديوان وهو الجويني) بعمارة مسجد قمرية بالجانب الغربي . وكانت قد خربت في زمن الخليفة المستعصم

(١) راجع عن الحوادث الجامعة السنة الخامسة من هذه المجلة (١٩٢٧-١٩٢٨) تر فصلا هذا الكتاب من اوله واذا نظرنا الى الخطة التي رسمها المؤلف لكتابه نظن انه قد بحث عن احداث هذا المسجد . ويؤسف على ضياع تاريخ تلك السنين وهي من قسم راجع الى سنة ٦٢٦ فما قبلها الى اول ذلك القرن.

عند زيادة دجلة وغرق بغداد وعمل موضعها سكرا من الخشب وبقي الى الآن فتقدم بتجديده وعمله كما كان اولا . » اه .

وذكر كتاب المساجد انه « جرت على المسجد عمارات كثيرة من ذلك عمارة السيدة عائشة بنت احمد باشا والي بغداد سنة ١١٦٣ (١٧١٩) وكانت زوج عمر باشا (١) الذي كان واليا على بغداد سنة ١١٧٧ (١٧٦٣) كما دل على ذلك مضمون الاسلات المحررة على باب المصلى . ثم اختل البناء ... سنة ١٢٣٠ (١٨١٤) فتداركه سعيد باشا والي بغداد يومئذ فاعاد عمارته الى احسن ما كانت عليه... » اه

وقد وقفت في كاشن خلفا على احدى تلك العمارات التي اشير اليهـا ولم يذكرها . قال كاشن في بحثه عن دلي حسين باشا الذي كان واليا في بغداد خلال بضعة اشهر من سنة ١٠٥٤ (١٦٤٤) ما تعريبه ملخصا :

« كان الجامع المعروف بجامع قمرية [بدون ال] المقابل للسراي (دار الحكومة وهي لا تزال كذلك الى الآن) والمزين لشط دجلة قد خرب في ايام الفتن فشيد اركانه [دلي حسين باشا] وعمر قبابه . وحينما اتممت عين لمحفظيا واماما وخداما على ان تعطى رواتبهم من الخزنة العامرة اذ ليس لهذا الجامع وقف خاص به . والآثار الخيرية لهذا الوالي لا تزال باقية الى هذا اليوم » اه . وكانت وفاة صاحب كاشن في العقد الرابع من القرن الثاني عشر للهجرة .

فمما مر بنا يتضح ان الجامع اسمه « جامع قمرية » وان احداثه واتمامه كان في عهد الناصر في احدى السنين الواقعة بين سنة ٦١٣ وسنة ٦٢٢ وان اول من جدده فشيد اركانه بعد خرابه هو دلي حسين باشا الذي كان واليا على بغداد في سنة ١٠٥٤ هذا إلم يكن قد سبق هذا الخراب خراب غيره فعمارة فخراب .

واما نسبته الى قمرية التي قال عنها كتاب المساجد لعلهـا من بيت الخليفة

(١) هو زوجها الثاني فقد جاء في دوحة الوزراء وفي مختصر حديقة الزوراء ان اباها زوجها من احمد آغا في سنة ١١٦٠ . وفي رحلة نيبهر (٢ : ٢٦٢) ان عمر باشا هو زوجها الثاني بعد مقتل الاول وصاحب الرحلة يثني على اخلاقها التي حببتها الى الاهلين خلافا لاخلاق اختها عادلة خانم .

الناصر لدين الله او احدى حظاياه ففي ذلك نظر . والشك الذي داخله يداخلني اذ ان عيون الانباء لابن ابي اصيبعة (١ : ٣٢٧) تروي ترجمة ابي منصور الحسن بن نوح القمري مؤلف كتاب الغنى والمنى في الطب (١) وفيها ان ابن سينا [وفاته سنة ٤٢٨ هـ ١٠٥٦ م] عاصر القمري فكان في موضع هذا الجامع او بقربه ما كان يسمى قمرية قبل احداثه ؟ ام كان هذا الطبيب منسوبا الى هذا الموضع وان ظهر في بلاد العجم ؟ ان الانساب للسمعاني ومقدمة الخطيب البغدادي ومناقب بغداد لابن الجوزي لم تذكر موضعا في بغداد بهذا الاسم . ولو لم يكن كتاب الحوادث ناقصا في اوله لوقفنا فيه على حقيقة نتطلبها ان صح ظني . ومن الغريب ان مناقب بغداد لم تذكر هذا المسجد مع ان مؤلفه كان عائشا في منتصف القرن السابع للهجرة اي بعد بناء المسجد ببضعة عقود من السنين .

الوالي احمد باشا

وهنا معرض للكلام على ان هذا الوالي — وهو ابن حسن باشا والي بغداد ايضا — كان قد توفي قبل سنة ١١٦٣ وقد ذكر كتاب المساجد انه كان فيها واليا على بغداد فاني وجدت دوحة الوزراء وسجل عثماني ومختصر حديقة الزوراء (٢) متفقات على ان وفاته كانت سنة ١١٦٠ (١٧٤٧) وقد رثاه الشيخ عبدالرحمن السويدي بقصيدة جاء منها في المختصر هذان البيتان وفيهما التاريخ :

فما صار حقا الى حفرة ولا حل فيها ولا اقبرا
ولكنه منذ تاريخه الى رحمة الله قد صيرا (٣) (١١٦٠)

وفي المختصر ايضا ان الشيخ محمد سعيد السويدي اخا مؤلف الحديقة رثى كذلك احمد باشا بقصيدة جاء في آخرها تاريخ الوفاة :

(١) ذكرت مخطوطات الموصل نسختين من كتاب «طب القمري» وفي المتحف البريطانية ثلاث نسخ اقدمها كتابة تلك التي نسخت في سنة ٦٧٨ هـ وفهرست المتحف يضبط القمري بالحروف الافرنجية بضم القاف وسكون الميم .

(٢) حديقة الزوراء هي للشيخ عبدالرحمن السويدي المتوفى في سنة ١٢٠٠ (١٧٨٥) والمختصر لمختصرنا الاديب سليمان الدخيل وقد اختصرها عن نسخة كان وجدها في خزانة «حكمت الله» في المدينة . (٣) عد تاء رحمة طويلة .

فعليه رحمة ربه تتلى الى وقت النشور وبعد يوم الحشر
ولدى الجزاء من الكريم مؤرخا مأواه عدن لاحقا بالخير (١١٦٠)

فلا بد ان الخبر الصحيح عن تاريخ وفاة احمد باشا هو ما وجدته في المصادر التي اوردتها وفي غيرها كمخطوط صغير بالتركية في تاريخ بغداد عن بضع سنين وهو عندي فلم يكن ابن احمد باشا حيا في سنة ١١٦٣

المدرسة العمرية

وذكر كتاب المساجد (ص١٣٤) هذه المدرسة وقال: «يقال ان عمر باشا احد ولاة بغداد ابتناها لرجل من الافاضل اسمه الشيخ عبدالرحمن ابن الشيخ محمود من اهل وراء النهر» اه.

فالصراحة في شكه بينة في هذا الكلام ولكن كلشن يوقفنا على جلي الامر فانه قال عن منشئها ما تعريبه:

«وانشأ عمر باشا مدرسة منظرها كالجنة بقرب جامع الانوار [المسمى جامع] قمرية مع غرف لطيفة وعين لها مدرسا ومحدثا وطلابا وبين رواتبهم ووقف عليها بعض الاوقاف فارخ ذلك كاتب ديوانه المرحوم طيبي (١) (وهنا بيت بالتركية)» اه. وكانت ولاية عمر باشا على بغداد من سنة ١٠٨٨ الى سنة ١٠٩٢ (١٦٧٧ ـ ١٦٨١).

اما النفحة المسكية في الرحلة المكية للشيخ عبدالله السويدي ففيها (ص ٤ ـ ٥ من مخطوطي) في ترجمة المؤلف لنفسه ان الذي بنيت له المدرسة هو الشيخ حسين نوح وهذا ما في الرحلة:

«... فبعد مجيئه [مجيء عمنا اخي ابينا لامه الشيخ احمد بن سويد وكان مجيئه من القسطنطنية في سنة ١١٠٩ او بعيدها بوقت وجيز] بثلاثة [سها الناسخ هنا ان يقول ايام او اسابيع او اشهر] الى الكتاب والشيخ فيه اذ ذاك شيخنا الصالح الورع التقي العالم العامل الشيخ عبد الرحمن ابن الشيخ محمود من اهل وراء النهر فختمنا عنده القرآن واقرأنا رسالة في التجويد وتعلمنا عنده

(٢) هو طيبي محمد جلبي له ديوان وكانت وفاته في سنة ١٠٩٠ (١٦٧٩) (عن سجل عثماني).

الكتابة ... » حتى قال : « ثم انه [يعني عمه المذكور] ارسلنا الى الشيخ حسين نوح المتقدم ذكره لتعلم العلم . وكان شيخنا هذا يدرس بالمدرسة العمرية نسبة الى والي بغداد اذ ذاك عمر باشا رحمه الله تعالى ، وهو قد بناها لاجل شيخنا المذكور فهو اول من درس بها التدريس العام . وهذه المدرسة على كتف دجلة في الجانب الغربي شرقي جامع القمرية بفتح القاف والميم . ملاصقة له » ثم قال : « واخذت النحو من شيخنا الشيخ حسين نوح . قرأت عليه الاجرومية وشرحها للشيخ خالد الازهري و ... و ... » وقد سبق فقال : « حسين نوح المتقدم ذكره » وهذا ما كان قد قاله عنه « انه العالم النحرير ... و... الشيخ حسين نوح الحديثي الحنفي ... ونوح هذا عمه فنسب اليه لانه كفله ورباه فعرف به . وكان نوح المذكور من العلماء العاملين والنساك الصالحين » اه .

ويسعني الان ان اقول بعد ان اوردت النقول المذكورة ان الذي بنى هذه المدرسة العمرية هو عمر باشا والي بغداد في زمن ولايته التي كانت من سنة ١٠٨٨ الى سنة ١٠٩٢ وانه بناها للشيخ حسين نوح فكان هذا اول مدرس بها وان الباشا لم يبنها للشيخ عبدالرحمن ابن الشيخ حمود من اهل وراء النهر .

ومن آل نوح يحيى افندي بن نوح العراقي الذي سأل عبدالغني النابلسي في الدخان فاجابه في سنة ١١١١ (١٦٩٩) مخطوطات الموصل ص ٣٤ في مجموعة رسائل تحت رقم ١٣).

هذا ما اردت الاتيان به خدمة للتاريخ .

بغداد يعقوب نعوم سركيس

المرعز . Chèvre d'Angora

المرعز (كزبرج مشدد الاخر) والمرعزى (بالالف المقصورة مع تشديد الزاي) وبعد اذا خفف (والميم والعين مكسورتان على كل حال وقد تفتح الميم في الكل فتقول لمرعز وهذه ذكرها الازهري في الرباعي) : الزغب الذي تحت شعر المعز وجعل سيبويه المرعزى صفة عنى به الليّن من الصوف . اه ملخصا عن التاج . ويراد اليوم بالمرعز في العراق نوع من المعز يعرف عند الافرنج باسم معز انقرة كما انهم يسمون الهر الطويل الشعر بالشيراز وبالفرنسية Chat d'Angora .